الجديد في أبحاث الروح:

السجل في بصمة الحمض النووي، والتحكم من الرأس

إعداد

أ.د. السباعي حماد

دكتوراه في التشريح من جامعة فرجينيا – أمريكا

المجلد (٨٥) العدد (الأول) الجزء (الأول) يناير ٢٠٢١م

المقدمة:

شغلت الروح حيزا كبيرا من الفكر الإنساني عبر التاريخ، وجاهد فلاسفة ورجال دين وأدباء كثيرون لفهم طبيعتها. تصور الفراعنة الروح كطائر برأس آدمي وآمنوا بالبعث وعودتها إلى الجسد مرة أخرى وسجلوا ذلك على جدران مقابرهم ومعابدهم.

وفي العصر الإسلامي حدث اختلاف حول تفسير الآية: وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (الإسراء ٨٥). فريق من الفقهاء، منهم السهروردي، قال بما إن الروح من أمر ربي فلا يجوز الكلام فيها، بينما فريق آخر رأى أن تكملة الآية يشير إلى أن البشر أوتي علما قليلا، فلم لا نتكلم في حدود العلم القليل الذي أوتيناه، من هؤلاء كان الفقيه ابن القيم الذي كتب فيها كتابا يقع في حوالي ٣٥٠ صفحة وذلك منذ سبعة قرون، لكن

كتابه هذا قوبل بنقد شديد من فقهاء بسبب اعتماده على منامات وحكايات وأحاديث ضعيفة وحتى على أبيات شعر، كما أن الكتاب صدر في وقت كان الطب فيه متخلفا ومقتصرا على التداوي بالأعشاب والكي والتمائم وغيرها، وبالتالي افتقر الكتاب إلى أي معلومة طبية حقيقية.

كما حدث خلاف أيضا حول معنى كلمتي "الروح" و "النفس".. منذ عهد الفقهاء القدامى ولحد الأن، من يفتح معاجم اللغة العربية ليكشف عن معنى الكلمتين يجد أن الروح هي النفس، والنفس هي الروح، وهذا المفهوم القديم ظل مسيطرا منذ أيام ابن القيم وابن سينا، رغم أن فقهاء كثيرين غيرهم أمثال ابن العربي وابن عبد البر رأوا أن الروح غير النفس، مستندين إلى نص الآية "ونفخت فيه من روحي" (الحجر ٢٩)، لم تقل نفخت فيه من نفسي، وهذا الرأي الأخير هو الأصح علميا، ويجمع عليه أيضا فلاسفة وعلماء أوروبا وأمريكا في الوقت الحاضر، والمؤسف أن تأخذ المعاجم العربية بوجهة نظر فريق ابن القيم دون غيره وتفرضه على الأمة.

ما أجمع عليه علماء الغرب أن للروح جزئين: جزء إلهي أو سرّي يطلق عليه "spirit"، وجزء أخر شخصي وظاهر ويطلق عليه " soul" وهو المقصود به النفس بكل شهواتها وأمراضها، وكلاهما من صنع الله، وهذين الجزئين هما محور هذا البحث، كما أن تقسيم الروح إلى قسمين هكذا يتفق مع الفكر الحديث وينهي الجدل حول كلمتي الروح والنفس ويصحح الخلط بينهما في معاجم اللغة العربية..

مبحث الدراسة :

سنبحث أولا في "الجزء السرّي" من الروح ونتساءل: أين مكانه وكيف يعمل في جسم الإنسان ؟.. من أجل ذلك نعود إلى كتاب الروح لابن القيم مرة أخرى. ثلاثة أسطر فقط وردت في هذا الكتاب لفتت انتباه الباحث لأنها احتوت فعلا على فكرة علمية وفرضيات مهمة عندما قال نصا أن الروح "إما لابسة لجميعه من خارج كالثوب أو منتشرة في كل الجسم أو في موضع واحد كالقلب أو الدماغ".

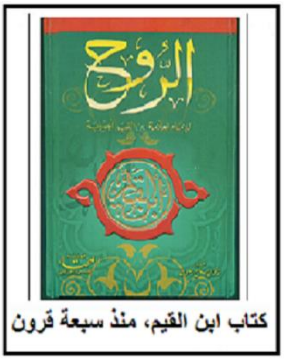

فرضيات ابن القيم لعلاقة الروح بالجسد:

صفحة 284

1- لابسة لجميعـــه من خارج كالثوب
2- ساريـــة أو منتشرة في كل الجسم
3- في موضع واحد كالقلب أو الدماغ

وفي ضوء التطور الحاصل في الطب الحديث مؤخرا، يمكننا إعادة النظر في هذه الفرضيات الأربع واستبعاد الغير معقول منها واستخلاص الفرضية الوحيدة الممكنة.

لنبحث أولا في الفرضيتين الأولى والثانية كون الروح لابسة من خارج كالثوب أو منتشرة في كل الجسم. لو تأملنا عمليات البتر التي تحدث يوميا في المستشفيات بسبب الحوادث والأورام وكيف أن أي جزء من الجسم يمكن بتره

والاستغناء عنه، نجد أن هذا لا يتفق مع روح لابسة من خارج كالثوب وإمكانية قص أجزاء منها هنا وهناك عند كل بتر، كما أن عمليات التبرع بكلى أو رئة أو نصف كبد من شخص وزرعها في جسم شخص آخر يلغي الفرضية الثانية وهي انتشار الروح داخليا في كل أجزاء الجسم، فمن غير المعقول نقل قطعة من روح شخص وزرعها في روح شخص آخر.. وعليه تبقى فرضية الموقع الواحد للجزء الأول من الروح هي الأرجح: في القلب أو في الدماغ.. ولنبدأ ببحث فرضية وجود الروح في القلب..

البتر والتبرع بالأعضاء ينفيان كون الروح لابسة من خارج كالثوب أو منتشرة فى كل الجسم

فرضية وجود الروح في القلب أصبحت غير مقبولة أو منطقية هي الأخرى بعد عمليات نقل القلب، والأكثر من ذلك إمكانية عيش الإنسان بدون قلب نهائيا

ووصله بماكينة قلب صناعي إلى حين توفر قلب مناسب له من متبرع كحالة المواطن الأمريكي الذي في الصورة.. وعليه، فاحتمال وجود الروح في القلب أمر غير وارد.

وتبقى الفرضية الوحيدة والأخيرة المتبقية وهي تموضع الجزء السري من الروح في الدماغ.. ولتأكيد هذه الفرضية وإثبات صحتها قمنا ببحث معمق

لحالات التوائم الملتصقة ومحاولة فهم عدد الأرواح في أنواعها المختلفة، وجاءت ألأبحاث عليها بنتائج مثمرة للغاية.

الطفلتان الأوروبيتان المتصلتان عند الحوضين اللتان في الصورة، أمكن فصلهما بنجاح وشقت كل منهما طريقها في الحياة.. إنهما تقدمان الدليل المؤكد أن لكل منهما روحا مختلفة عن الأخرى وهي الموجودة حتما في رأس كل منهما.

أما في حالات ازدواج الرأس نفسها على جسم واحد، أو ازدواج النصف السفلي للجسم مع وجود رأس واحد ففيها التباس كبير وتطلبت المزيد من التحليل والبرهان، ولنأخذ حالة ازدواج الرأس التالية (وهي من أمريكا) كنموذج:

نشاهد فيها رأسين على جسم واحد، ومن واقع الأبحاث التي أجريت عليهما ونُشرت، تبين أن كل رأس تختلف عن الأخرى في الأفكار والميول، رأس ماهرة في اللغات وأخرى أكفأ في الرياضيات، رأس تفضل شرب الشاي ورأس تعشق القهوة، رأس ضحوك يميل إلى النكتة والفكاهة، ورأس بعكس ذلك، واختلفت الرأسان حتى في تصورها لفتى الأحلام، مع أن الجسم واحد والفرج واحد!.. هذا دليل إضافي لا يدع مجالا للشك على أن في كل رأس روح وتعمل من خلال الرأس..

أما في حالة ازدواج النصف السفلي فقط، أي وجود حوضين وأربعة أرجل تحت رأس واحد كالأمريكية الجميلة التي عاشت أوائل القرن الماضي وفيما يلي صورتها:

هذه المرأة ذات الحوضين والفرجين تزوجها طبيب وأنجب منها خمسة أطفال، ثلاثة من الفرج الأيمن واثنان من الفرج الأيسر، وكان عقلها واحدا ومشاعرها واحدة، وبدون أدنى شك، كانت بروح واحدة، وتعمل من رأسها أيضا.

إذن، تؤكد كل أنواع التوائم الملتصقة أن الجزء السري أو الإلهي للروح موجود في الرأس، لكن في أي منطقة في الرأس بالتحديد ؟ هذا ما قاد الباحث لصياغة "نظرية الاستبعاد"، بناءا على ما تقدم من أدلة واستنتاجات من كل حالات البتر ونقل الأعضاء وأرواح التوائم الملتصقة..

صاغ الباحث هذه النظرية عام ٢٠٠٧ وقام بإعادة صياغتها عام ٢٠٢١ للوصول إلى أصغر مساحة في الرأس يمكن للروح أن تعمل من خلالها، ولإضافة دور الحمض النووي كجزء من الروح، مستخدمين طريقة المحاصرة والاستبعاد كما يلي:

إذن، مفاد هذه النظرية أن الجزء الغامض أو السرّي من الروح يعمل من جذع المخ، لكن في أي مركز من مراكزه التي تقدر بالعشرات؟ جذع المخ هو مقر الحكومة في الجسم البشري، فيه أخطر المراكز الحيوية كالتنفس والتحكم في

القلب والأوعية المويةوالنوم وغير ذلك، ويمكن تطبيق نظرية الاستبعاد مرة أخرى على جذع المخ نفسه، لأنه آخر جزء يموت في الإنسان، ويرجح الباحث أن الروح تعمل من مركز محدد رقم ٣٧ كما في الصورة، لأنه المركز الوحيد من بين ما يقرب من مائتي مركز في المخ الذي يعطي الأوامر فقط ولا يتلقاها، بعكس بقية المراكز التي تتبادل المعلومة فيما بينها بالأخذ والرد.

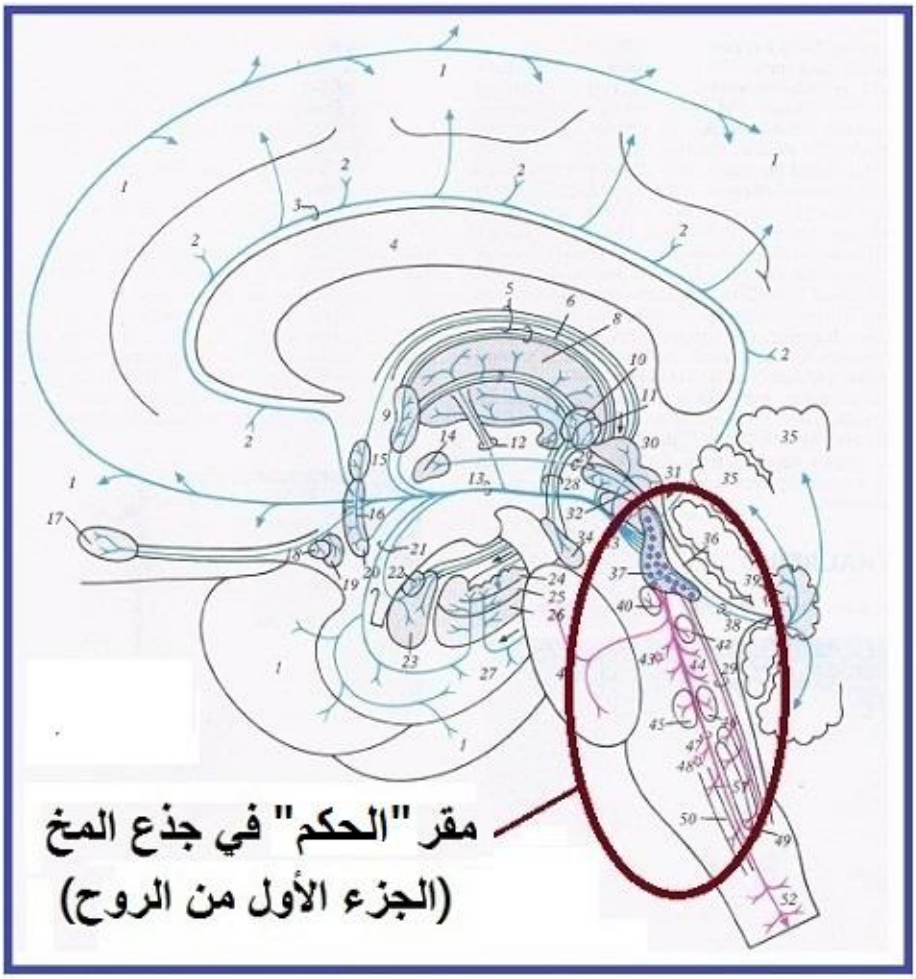

مقر "الحكم" في جذع المخ
(الجزء الأول من الروح)

كتابا المؤلف في الروح

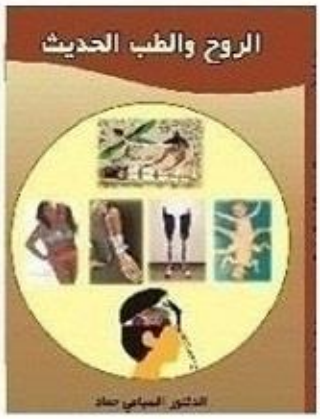

2015

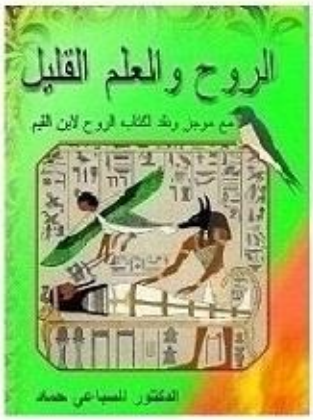

2007

كما أن إصابات المخ تؤكد هذه الفرضية أيضا. خراب قشرة المخ يؤدي إلى غيبوبة، بينما تخريب جذع المخ الذي فيه "مقر الحكم" يؤدي إلى الموت في الحال كما يحدث في الإعدام شنقا، أما قطع الحبل الشوكي عند بدايته فيؤدي إلى شلل رباعي.

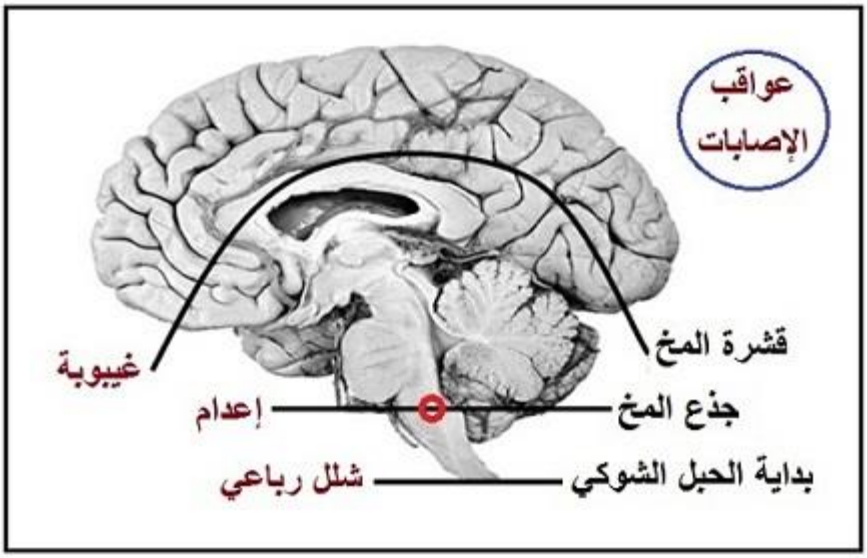

وفي هذا البحث ربط الباحث جزئي الروح ببعضهما واعتبر أن بصمة الحمض النووي للكائن هي الجزء الثاني من الروح كما ذكرنا، كونها السجل الصانع والمعبر عن خصوصية الكائن من حيث الحجم واللون والسلوك وكل مظاهر الحياة، وهذا العنصر الجديد للروح لم ينتبه إليه باحث أو يربطه بها من قبل، إنه الحمض النووي وبصمته المميزة لكل مخلوق على وجه الأرض، ويظهر دوره أكثر عند البحث عن الروح في المخلوقات الأدنى من الإنسان، ولنأخذ منها

المجموعة التي في الصورة التالية كنموذج.. وبما أن الكائن الحي محكوم تماما بأوامر تأتيه من حمضه النووي الذي وُضع فيه لحظة الإخصاب رغما عنه، ثم يولد وينشأ في بيئة ومجتمع له قوانينه التي يتوجب عليه مراعاتها والالتزام بها، هنا يكون واقعا تحت قوتين قد تكونا متضاربتين: قوة أوامر حمضه النووي المفروضة عليه من الداخل، وقوة القوانين والتقاليد المفروضة من الوسط المحيط به ! وهنا تنشأ المسئولية والحساب من البشر في الدنيا ومن الخالق في الآخرة.. وهذا هو لغز الحياة بأكملها.

من المؤكد أن لهذه المخلوقات أرواح، لكن الفقهاء رأوا أنها تختلف عن أرواح البشر التي فضلها الله ونفخها من روحه ومنحها العقل وألزمها بالتكليف، ولو علمنا أن أرواحها تعمل أيضا من الرأس كالبشر وهذا صحيح علميا أيضا، فكيف تعمل وأين نجدها في النباتات وفي الحيوانات الأولية التي ليست لها رؤوس ؟

إنه الحمض النووي الذي يقوم بعمل الروح فيها.. فأرواح الكائنات الأدني من الإنسان هي بصمة أحماضها النووية فقط.. ولو رجعنا إلى حالة الإنسان وتساءلنا ما علاقة الحمض النووي بهذا الجزء الذي خلصنا إليه في جذع المخ واعتبرناه الجزء "الأول" أو "الديني" أو "التقليدي" للروح ؟ هنا، يجب بلورة علاقة جديدة بين جزئي الروح، هذا "الجزء الديني" الذي تحدثنا عنه، والجزء العلمي" أي الحمض النووي الذي فيه سجل للسلوك وكل الصفات التي توروث ومحمّل على برنامج تنفذه الخلية المخصبة.

فيما يلي مخطط للحمض النووي الذي يحتوي على جميع صفات الكائن من لون وحجم وحتى المشية والصوت والميول.. هذا البرنامج هو حجر الأساس الذي ينشأ مباشرة نتيجة الإخصاب بمشاركة من الأب والأم، ويجري تنقيذه داخل الرحم تماما كما تأخذ الطابعة الأوامر من حاسوب، وطول مدة تنفيذه ترتبط وتتناسب طرديا مع حجم الكائن، وتشترك جميع الكائنات الحية في أجزاء منه، وثبت أن اختلاف ألوان البشر وألسنتهم وأحجامهم سببه اختلاف جزء من الألف فقط من تلك البصمة، ثم تزيد نسبة الاختلاف تدريجيا، فبين الإنسان والشمبانزي ١%، وعند الفأر ١٥%، والبقر ٢٠%، وحتى الذباب والموز يشارك الإنسان في حوالي ٦٠% من بصمته!

وبصمة الحمض النووي هي التي تعطي الزهور والفراش والأسماك والمحار ألوانها وللحيوانات تحدد أشكالها وأحجامها وسلوكياتها وحتى بصمات الاصابع.

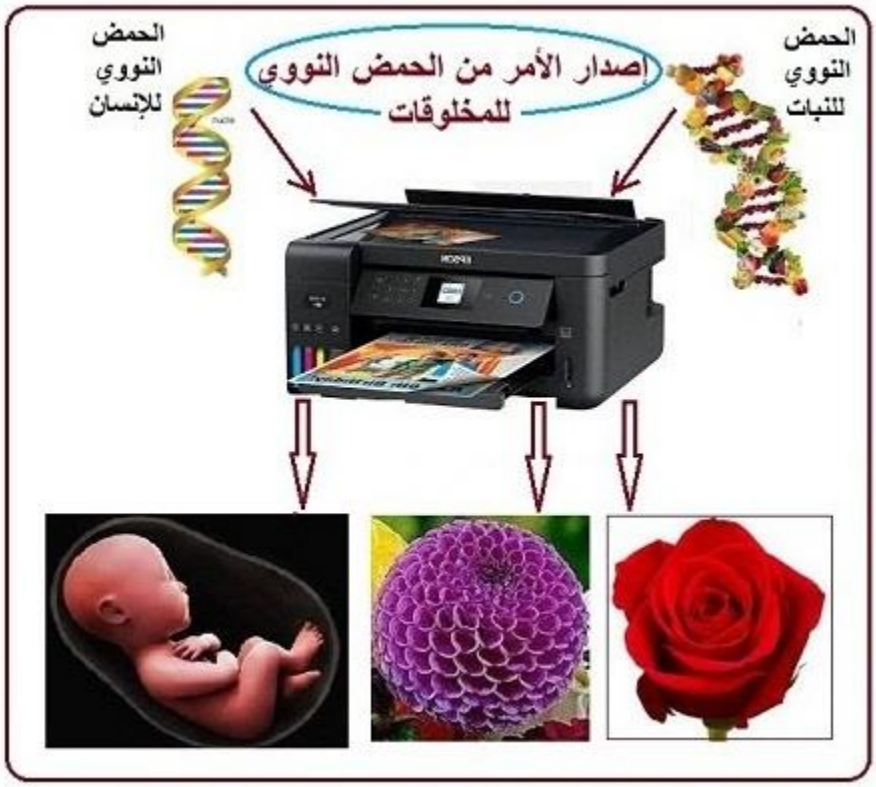

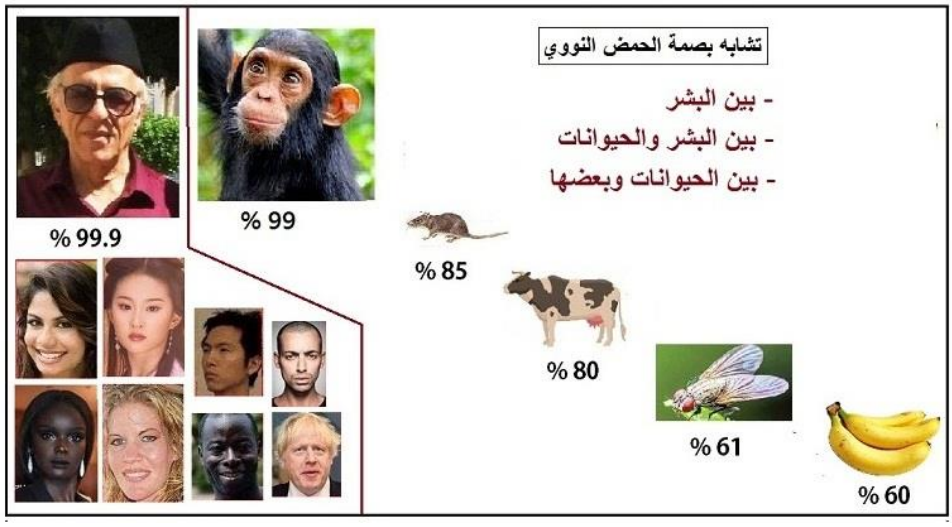

دينيا أيضا، كان الحمض النووي قد سبق ودخل مباشرة في موضوع الروح من خلال الحديث النبوي "كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب، منه خلق وفيه يركب" (صحيح مسلم) أي منه يبعث يوم القيامة.. وعجب الذنب قطعة كحبة الخردل عند نهاية العصعص وهي صلبة ولا تبلى فعلا وتم العثور عليها من بقايا آدمية عمرها عشرة ملايين سنة وتم استخلاص الحمض النووي منها وقراءة بعض رموزه.. وفي علم الأجنة ثبت أنه في الليلة السادسة عشرة من

عمر الجنين تنطلق الطبقة الوسطى الرئيسية فيه من هذه النقطة إلى أعلى وإلى الجانبين كالشجرة.

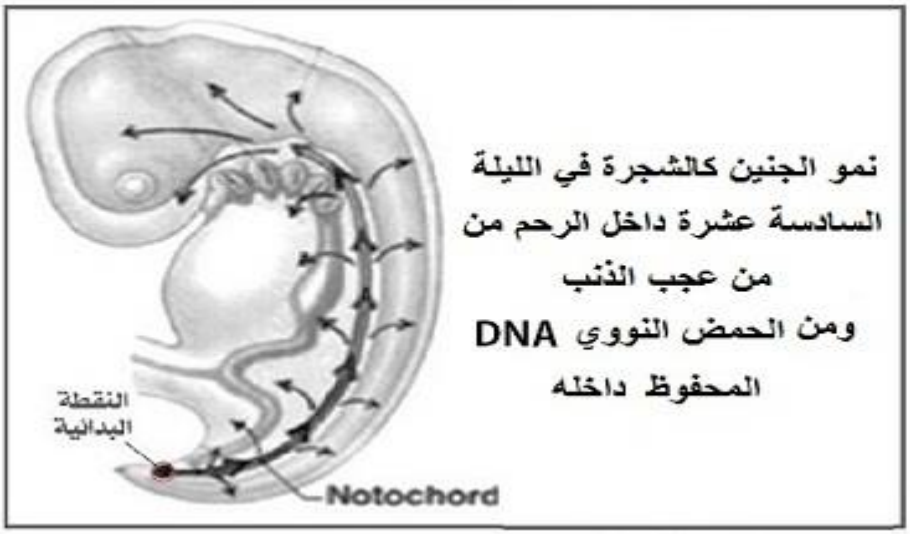

فلماذا ينمو الجنين داخل الرحم كالشجرة من عجب الذنب؟ ولماذا يبعث وينمو منه يوم القيامة؟ لأنه يحوي السجل الكامل للإنسان.. ومعلوم أن وجود شعرة واحدة في في مكان الجريمة يمكن أن تدل على صاحبها وتقود به إلى الإعدام من خلال الحمض النووي لصاحبها..

"إذا كان الرقم القومي أو المدني للتعريف بكل مواطن، فإن بصمة الحمض النووي هي "الرقم الكوني" للتعريف بكل إنسان أو كائن حي"

(من كتاب "الروح والطب الحديث" - د السباعي حماد - صفحة 104)

بصمة الحمض النووي هي الهوية المميزة للكائن الحي على الأرض، ومن يدري، قد يكون إبرازها عند أبواب السماء أو الجنة ضروريا عند الدخول!

ومع أن بصمة الحمض النووي فريدة لكل كائن حي، إلا أنها تتنازل عن بعض خصوصيتها عند نقل الأعضاء من شخص إلى آخر.. نعم هي جزء من روح الشخص لكن عند نقل الأعضاء تتحول إلى "سر حياة" يساعد على التصاق العضو في مكانه الجديد وينتقل هذا السر مع الأعضاء من الميت إلى الحي، ويتطلب فقط بعض الفحوص المناعية لتطابق الأنسجة.. تخرج الروح ويبقى هذا السر في الجثة لساعات أو لأيام ثم يتلاشى وينهار، لكن بتجميد الجثة قد يستمر لفترات أطول بكثير.

الخلاصة: تبين للباحث أن للروح البشرية جزئين مرتبطين ببعضهما ارتباطا وثيقا: الجزء الأول سر إلهي مقره في جذع المخ، وهو بمثابة "مقر الحكم" وإدارة كل مناطق الجسم، وخرابه يعني توقف كافة الأجهزة عن العمل والموت في الحال، أما الجزء الثاني فهو بصمة الحمض النووي التي تحمل كل صفات الكائن والسجل الدقيق لشكله وحجمه ولونه وسلوكه منذ لحظة الإخصاب إلى ساعة الموت، وهو أيضا الروح في كل الكائنات الدنيا أو البسيطة التي تفتقر إلى رؤوس، وعلى الكائن صغيرا كان أم كبيرا، أن يوازن بين أوامر حمضه النووي الآتية له من الداخل، والقوانين والتقاليد المفروضة عليه من الوسط المحيط به.. أي أنه محاسب.

المصادر والمراجع:

1- Langman's Medical Embryology 14th ed .2018 – walter Kluwer

2- Gray's Anatomy 42th ed .2020-Elsevier

3- "Your soul is yours, but sprit belongs to God". Bob Coy, sunsentinel, 2003

٤- الروح والطب الحديث – الدكتور السباعي حماد – طبع وتوزيع دار المعارف ٢٠١٥

٥- الروح لابن القيم الجوزية – مؤسسة المختار للنشر – ٢٠٠٦

٦- شبكة المعلومات الدولية